## المبحث الخامس
## أشهر وزراء الخلفاء العباسيين والسلاجقة

### أولاً: أشهر وزراء الخلفاء العباسيين:

**1- فخر الدولة بن جهير:** هو محمد بن محمد بن جهير أبو النصر فخر الدولة، ولد بالموصل عام 398هـ وبها نشأ، عاش بداية حياته في هذه المدينة خالياً من المال والجاه فقيراً معدماً يكد لعرض نيل العيش الرغيد، واستمرت به الأحوال هكذا لحين اتصل بإمبراطور الروم عندما مضى برسالة إليه، فمن خلالها منحه الإمبراطور مبلغاً قدره عشرين ألف دينار، وبذلك تغير أمره من فقير معدم إلى ثري مالك [1]، وبعد ذلك اتصل الوزير فخر الدولة محمد بن جهير بصاحب، ميارفارقين وديار بكر[2]، استوزره معز الدولة بن صالح بن مرداس، بعدها نال وزارة أحمد بن مروان بن دوستك الكردي [3]، وراسل الخليفة القائم بأمر الله فخر الدولة وتم تعيينه وزيراً للخليفة القائم بأمر الله عام 454هـ بعدما عزل الوزير أبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست [4]، ولم تدم حالة الاستقرار عند الوزير فخر الدولة؛ لأنه واجه صراعاً حاداً وطلب الوزير نظام الملك من القائم بأمر الله عزله، فاستجاب الخليفة لطلبه[5]، وعلى إثر هذا الصراع قرر الوزير فخر الدولة بن جهير أن يترك بغداد ويتجه إلى الحلة ويستقر بها وليقوم بخدمة نور الدولة دبيس بن مزيد [6] وفعلاً مكث هناك مدة من الوقت [7]. إلا أن الخليفة القائم بأمر الله بعد مدة من الوقت أخذ يطالب بفخر الدولة بن جهير ويطلب منه العودة إلى بغداد لاستلام الوزارة ثانية سنة 461هـ [8] ولما ولي المقتدي بأمر الله الخلافة سنة 467هـ أقر فخر الدولة جهير على وزارته، بناء على وصية من الخليفة القائم بأمر الله [9]، وبعد أربع سنوات عزل فخر الدولة بن جهير من الوزارة للمرة الثانية تلبية لطلب الوزير السلجوقي نظام الملك الذي اتهمه بتدبير الفتنة التي قامت بين الحنابلة والشافعية ببغداد وقتل فيها جماعة من طلاب المدرسة النظامية [10]. وعلى إثر ذلك لزم فخر الدولة داره، وخلفه ابنه عميد الدولة في وزارة الخليفة [11]. وفي سنة 476هـ استدعى السلطان ملكشاه فخر الدولة، وعقد له على ديار بكر، وسيره على رأس جيش كبير لانتزاعها من بني مروان وسمح السلطان لفخر الدولة بأن يخطب لنفسه بها، وينقش اسمه على السكة فسار فخر الدولة إلى ديار بكر واستولى عليها [12]. ويروى أن فخر الدولة

(1) المختصر في أخبار البشر (181/2).
(2) الوزارة العباسية ص 146.
(3) المصدر نفسه ص 147.
(4) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 146.
(5) دولة آل سلجوق ص 55 الوزارة العباسية ص 148.
(6) الوزارة العباسية ص 148.
(7) النجوم الزاهرة (11/5).
(8) دولة آل سلجوق ص 36.
(9) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 146.
(10) وفيات الأعيان (128/5) نظام الوزارة ص 147.
(11) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 147.
(12) وفيات الأعيان (128/5) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 147.

عندما رأى احتلال دولـة بني مروان اتصل بنظام الملك، ووصف لـه مـا يوجد بديار بكر من ذخائر وأموال، وضمن لـه الاستيلاء عليها دون عناء، فتحدث نظام الملك مع السلطان ملكشاه في ذلك، فوافق على توجيه فخر الدولة للاستيلاء عليها [1]. وانتهت حياة فخر الدولة بن جهير بوفاته سنة 483هـ، بمدينة الموصل [2].

**2- عميد الدولة ابن جهير:** وكان عميد الدولة أديباً فاضلاً بليغاً، سخياً وقائداً عسكرياً محنكاً قاد الجيوش لفتح الموصل، وكان من أعظم الوزراء وأبعدهم أثراً في سياسة الدولة وتدبيرها، فضلاً عن ذلك فقد عرف عنه حسن سفارته وأداء مهامه بنجاح، بحيث كسب ثقة الخلفاء وسلاطين السلاجقة، وتعد هذه الصفة من عوامل وصول عميد الدولة ابن جهير إلى منصب الوزارة، ففي عام 462هـ أرسله الخليفة القائم بأمر الله إلى الري[3].

وكان الهدف من سفارته هذه هو تحقيق اتفاقية مراسيم خطبة ابنة السلطان لولي العهد المقتدي بأمر الله [4]، ولما أثبت عميد الدولة ابن جهير حسن سفارته وأداء مهمته بنجاح، زاد من استحسان ورضا الخليفة عليه، مما دفعه إلى استوزاره وتكريمه بالخلعة [5]، كما نال الوزير عميد الدولة بن جهير إحسان ورضا السلطان السلجوقي، مما دفع بالسلطان إلى أن يأمر أتباعه بتقديم الهدايا الثمينة والخلع لعميد الدولة، ومن ثم توديعه بموكب فخم أثناء مروره في مدينة أصفهان [6]، كما نال عميد الدولة رضا الوزير السلجوقي نظام الملك أبي علي الحسن الطوسي، حيث زوجه ابنته زبيدة في هذه السفرة[7]. بحيث أصبح هذا الزواج محل خير لعميد الدولة، حيث أعيد للوزارة بعد أن خلعه الخليفة العباسي[8]، ويذكر ابن الجوزي أن الخليفة القائم بأمر الله كان معجباً بابن جهير، فقد خاطب المقتدي بقوله: يا بني قد استوزرت ابن المسلمة وابن دارست وغيرهما فما رأيت مثل بني جهير [9]. بقي عميد الدولة وزيراً للخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام 476هـ ثم عزل، وخلفه أبو شجاع الروذراوري، فخرج عميد الدولة مع والده وأسرته من بغداد، وساروا إلى الري، حيث عقد لأبيه فخر الدولة على ديار بكر[10]. أما هو فقد سيره السلطان ملكشاه على رأس جيش كبير لفتح الموصل، ونجح عميد الدولة في إعادة الموصل إلى حظيرة الدولة السلجوقية بدون قتال [11].

وفي سنة 484هـ ولي عميد الدولة بن جهير الوزارة للمرة الثانية بوساطة الوزير نظام الملك،

(1) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 147.
(2) المنتظم (54/9) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 147.
(3) الوزارة العباسية ص 152.
(4) دولـة آل سلجوق ص 45، 46 الوزارة العباسية ص 152.
(5) خلفاء بن خلفاء بني العباس ووزراءهم في العهد السلجوقي ص 121.
(6) دولـة آل سلجوق ص 45، 46.
(7) البداية والنهاية نقلاً عن الوزارة العباسية ص 153.
(8) المنتظم (6/9) دولـة آل سلجوق ص37.
(9) المنتظم (181/9) الوزارة العباسية ص 153.
(10) تاريخ الفارقي ص 208 نظام الوزارة العباسية ص 151.
(11) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة العباسية ص 151.

ويروى أن هذا الوزير وكبار أمراء السلاجقة ساروا إلى عميد الدولة، وهنأوه بالوزارة [1]. ولما تولى المستظهر بالله الخلافة في سنة 487هـ، أقر عميد الدولة في الوزارة، وفوضه في تدبير أمور دولته [2]، فظل يلي وزارته حتى عام 493هـ، ثم قبض عليه الخليفة، وسجنه فتوفي في محبسه [3] وكان عزل هذا الوزير بتدبير من الوزير السلجوقي مؤيد الملك بن نظام الملك [4]. كان عميد الدولة ابن جهير من أكفأ وزراء الخلافة العباسية في العهد السلجوقي، ويصفه المؤرخون بأنه كان حسن التدبير، كافياً في المهمات، كثير الصدقات واسع المعروف، وخاصة على العلماء [5]، ويذكر ابن خلِّكان أن الوزير نظام الملك كان معجباً بعميد الدولة، وكان يستشيره في أهم أمور الدولة، ويقدمه على أكفأ الموظفين في الإدارة السلجوقية[6]. كما كان هذا الوزير من المهتمين بالأدب والحديث والفقه، ودرس مختلف أنواع العلوم [7].

**3- الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري:** هو الوزير ظهير الدين أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم من أهالي روذراور ولد سنة 437هـ، يقول ابن الجوزي: إن الوزير أبو شجاع: يعود أصله إلى بلدة من نواحي همدان، أحوازي المولد[8]. ولي أبو شجاع الوزارة للمرة الأولى في سنة 471هـ، خلفاً للوزير فخر الدولة بن جهير ثم عزل في السنة التالية بعد أن أصلح بنو جهير حالهم مع الوزير نظام الملك. ولما عاد بنو جهير إلى الوزارة بعث السلطان ملكشاه إلى الخليفة يطلب إخراج أبي شجاع من بغداد، فسير الخليفة أبا شجاع إلى أصبهان، ومعه رسول يحمل رسالة بخط الخليفة لنظام الملك ذكر فيها الخليفة منزلة أبي شجاع لديه وفضله ودينه، وطلب من نظام الملك عدم الاستماع لأعداء أبي شجاع. ولما اطلع نظام الملك على رسالة الخليفة، وأعاد أبا شجاع إلى بغداد [9] ويبدو أن طلب إبعاد أبي شجاع من بغداد كان بتدبير بني جهير، خوفاً من منافسته لهم بالوزارة، خاصة وأنه كان يتمتع بتقدير واحترام الخليفة، وقد صدق حدس بني جهير فقد عُزل عميد الدولة في سنة 476هـ، وخلفه أبو شجاع في الوزارة [10]. كان الوزير أبو شجاع رجلاً ديّناً خيّراً كثير البر والصدقات [11]، نجح في ضبط أمور الدولة أثناء وزارته وحفظ للخلافة هيبتها واحترامها [12].

(1) المنتظم (57/9) دولة آل سلجوق ص 73.
(2) المنتظم (58/9) نظام الوزارة ص 151.
(3) وفيات الأعيان (132/5) نظام الوزارة ص 151.
(4) نظام الوزارة ص 151.
(5) المنتظم (118/9).
(6) وفيات الأعيان (131/5) نظام الوزارة ص 152.
(7) نظام الوزارة ص 152.
(8) المنظم (90/9) الوزارة العباسية ص 156.
(9) طبقات الشافعية (137/4) نظام الوزارة ص 148.
(10) المنتظم (6/9)نظام الوزارة ص 148.
(11) البداية والنهاية نقلاً عن نظام الوزارة ص 148.
(12) وفيات الأعيان (135/5 - 136) نظام الوزارة ص 148.

وكـان شـديداً فـي تطبيـق قـوانين الشـرع [1]، ولـم يتـرك فرصـة للمـوظفين والعمـال لاسـتغلال وظائفهم والاعتداء على أموال الناس [2]، فعم الأمن، وزاد الرخاء، وانخفضت الأسعار[3]. وكـان - رحمـه الله - يملـك ثـروة هائلـة بلغـت حـوالي سـتمائة ألـف دينـار أنفقهـا علـى الفقـراء والضـعفاء والمحتاجين[4]، يقول أبو جعفر الخرقي: كنت أنا من أحد عشر يتولون إخراج صدقاته، فحسبت ما خرج على يدي فكان مائة ألف دينار، ووقف الوقوف وبنى المساجد وأكثر الإنعام على الأرامل [5]. وكان هذا الوزير محبوباً محترماً يؤيده أكثر العامة [6].

ويصـف ابـن خلكـان حالـة الخلافـة فـي عهده، فيقول نقلاً عن ابـن الهمذاني: كانـت أيامـه (أبـي شجاع) أوفى الأيام سعادة للدولتين [7]، بركـة علـى الرعيـة، وأعمهـا أمنـاً، وأشملها رخصـاً، وأكملها صحة، لم يغارها [8]بؤس ولم تشبها [9] مخافة، وقامت للخلافة في نظره من الحشمة والاحترام ما أعادت سالف الأيام [10]، وظل أبو شجاع يلي وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله حتى عام 484هـ ثم عزل منها وجاء أمر العزل وهو في الديوان، فانصرف وهو ينشد:

**تولاهـــا وليـــس لـــه عـــدو ::: وفارقهـــا وليـــس لـــه صديـــق [11]**

ويذكر بعض المؤرخين عدة أسباب لعزل الوزير أبي شجاع، منها: أنـه كـان يعـارض طلبـات رجـال الديوان والجيش التي تتنافى مع الشرع [12]. ومنها أنـه كـان شـديداً علـى أهل الذمـة، وقد ألزمهم بلبس الغبار [13]. ولما عزل أبو شجاع من الوزارة خرج إلى الجامع ماشياً، ومعه جماعة من العلمـاء والزهـاد [14]، فـالتف الناس حولـه يصـافحونه، ويدعون لـه، فقيل للخليفة: إن أبا شـجاع أراد بهذا التشنيع عليـه، فصـدر أمر الخليفـة بأن يلزم أبو شجاع داره، ولا يخرج منها، فبنـى أبـو شـجاع فـي دهليز داره مسـجداً يصـلي فيـه، وردت أوامر الوزير نظام الملك بإخراج أبي شجاع من بغداد إلى بلده روذراور، فسار إليها، وأقام بها مدة [15]، ثم توجـه منها إلى الحج[16].

قال عنه ابن كثير: كان من خيار الـوزراء كثيـر الصـدقات والإحسـان إلـى العلمـاء والفقهـاء وسمع

(1) نظام الوزارة في الدولة العباسيّة ص 148.
(2) طبقات الشافعية (138/4).
(3) وفيات الأعيان (135/5 - 136) نظام الوزارة ص 148.
(4) الوزارة العباسية ص 157.
(5) المنتظم(90/9 - 91).
(6) الوزارة العباسية ص 158.
(7) يقصد بالدولتين: الخلافة العباسية والدولة السلجوقية.
(8) يغارها: أي يصيبها.
(9) تشبها: أي تخالطها.
(10) وفيات الأعيان (135/5 - 136).
(11) وفيات الأعيان (135/5)، سير أعلام النبلاء (30/19).
(12) نظام الوزارة ص 149 المنتظم (56/9).
(13) المصد نفسه ص 149 المنتظم (56/9).
(14) المنتظم (569/9) نظام الوزارة ص 149.
(15) دولـة آل سلجوق ص 73، نظام الوزارة ص 150.
(16) نظام الوزارة ص 150.

الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره وصنف كُتباً.. ووقف الوقوف الحسنة وأكثر الإنعام على الأرامل والأيتام قال لـه رجل: إلى جانبنا أرملة لها أربعة أيتام وهم عراة وجياع، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إليَّ بخبرهم، فذهب الرجل مسرعاً فقضى حاجتهم وأوصلهم ذلك الإحسان، ثم عاد والوزير يركض من البرد فلما أخبره عنهم بما سرّه لبسن ثيابه. وجيء إليه مرّةً بقطائف سكر، فلما وضعت بين يديه تنفَّض عليه بمن لا يقدر عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد وكانت كثيرة جدًّا، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء فإذا وقع لـه أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه وكان كثير التواضع مع الناس، خاصَّتِهم وعامَّتِهم، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور المدينة [1].

قال عنه الذهبي: وكان كثير التلاوة والتهجد، ويكتب مصاحف، ويجلس للمظالم، فيغتصُّ الديوان بالسادة والكبراء ويُنادي الحُجّاب: أين أصحاب الحوائج؟ فيُنصف المظلوم، ويؤدِّي عن المحبوس، ولـه في عدلـه حكايات في إنصاف الضعيف من الأمير، وخلعت عليه بنت السلطان ملكشاه حين تزوَّجت بالمقتدي، فاستعفى من لبُس الحرير، فنفَّذت لـه عمامة ودبيّقيَّة [2]، بمئتين وسبعين دينار فلبسها... وكان كاملاً في فنون، ولـه يد بيضاء في البلاغة والبيان وكتابته طبقة عالية على طريقة ابن مُقلة [3]، وزرع سبع سنين وسبعة أشهر ثم عزل بأمر السلطان ملكشاه للخليفة لموجدة [4]. ثم قال الذهبي: ثم حج بعد موت النظام والسلطان والخليفة ونزل المدينة وتزهد، ومات بها ودفن بالبقيع سنة 488هـ عن إحدى وخمسين سنة [5] ونلاحظ من حديثنا عن الوزراء أن أهل الخير والصلاح والعدل هم الذين أثروا في الناس وبقي ذكرهم في المحافل وثناء الخلق عليهم، وما عند الله خير وأبقى، كما أن من الدروس المستفادة تغير الزمان، ودوام الحال من المحال فعلى العاقل ألا يركن إلى الدنيا ويبني آماله عليها وعليه أن يحتسب في عماله ويتقي الله ما استطاع.

**4- الوزير الحسن بن علي بن صدقة:** نال الوزير جلال الدين أبوالرضا محمد بن أحمد بن صدقة وزارة الخليفة المسترشد بالله عام 513هـ وعزل عنها في سنة 516هـ. ويبدو أنه كان لهذا الوزير دور كبير في صد الغارات التي كان يشنها والي الحلة دبيس بن صدقة على بغداد، فلما تقرر الصلح بين هذا الوالي وبين الخليفة المسترشد بالله، اشترط دبيس على الخليفة أن يعزل وزيره ابن صدقة مقابل عودته إلى طاعة الخلافة فاستجاب لـه الخليفة، وعزل هذا الوزير [6]، ويذكر ابن طباطبا أن عزل جلال الدين بن صدقة، كان تحقيقاً لرغبة الوزير السلجوقي عثمان بن نظام الملك [7]، الذي كان يرغب في تولية أخيه أحمد الوزارة للخليفة المسترشد بالله، فولي أحمد بن نظام الملك وزارة الخليفة فعلاً

(1) البداية والنهاية (151/16).
(2) سيرأعلام النبلاء (29/19) نوع من الثياب ينتسب إلى ديبق.
(3) بن مقلة الوزير الكاتب المشهور يضرب بحسن حظه المثل توفي 316هـ.
(4) سير أعلام النبلاء (30/19).
(5) المصدر نفسه (30/19).
(6) المنتظم (233/9) نظام الوزارة ص 154.
(7) الفخري ص 221، نظام الوزارة ص 155.

بطلب من السلطان السلجوقي ووزيره [1]، ولم يكتف الوزير السلجوقي بذلك، بل طلب من الخليفة أن يخرج جلال الدين بن صدقة من بغداد حتى تخلو الوزارة لأخيه فلم يجد الخليفة بدًّا من إخراج وزيره المعزول من حاضرة الخلافة[2].

ولما عزل السلطان محمود وزيره عثمان بن نظام الملك في سنة 517هـ، بادر الخليفة إلى عزل أخيه أحمد بن نظام الملك، وكتب إلى جلال الدين بن صدقة يستدعيه للعودة إلى الوزارة [3]. قائلاً: أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرماً[4]، وهذا يدل على أن الخليفة المسترشد بالله كان مكرها على عزل ابن صدقة من وزارته في السنة السابقة[5]، وظل جلال الدين بن صدقة يلي وزارة الخليفة المسترشد بالله حتى توفي في سنة 552هـ وقد قام بدور هام في مناهضة النفوذ السلجوقي في العراق، فقاد جيشاً لمحاربة السلطان طغرل في سنة 519هـ الذي قصد بغداد وأرغمه على العودة [6]، فلما تولى السلطان محمود السلطنة، حذره السلطان سنجر من الوزير ابن صدقة، ونصحه بالقبض عليه إذا أراد أن يستقر له الحكم [7]، ولما عزم السلطان سنجر على المسير إلى بغداد، وقف الوزير ابن صدقة في وجهه، وكتب إليه يمنعه من القدوم إليها، ويهدده بالحرب إن فعل ذلك [8]. ولما مرض هذا الوزير سنة 522هـ عاده الخليفة المسترشد بالله في بيته لما كان له من منزلة رفيعة لديه، وتوفي في نفس العام [9].

**5- الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي:** أبو القاسم وكان نقيب النقباء في أيام الخليفة المستظهر بالله وهو أول هاشمي يلي الوزارة لخلفاء بني العباس [10]، كانت له مكانة مرموقة ومنزلة عظيمة، وهو من أصل له حسب ونسب عظيم [11]، وقد امتاز هذا الوزير بصفات حميدة جعلته يتصدر وظائف الدولة المهمة، فقد امتاز بحسن تدبيره للأمور، داهية، شجاع، مهيب [12]، فضلاً عن ذلك كان عالماً محب لأهل العلم يقرأ القرآن والحديث، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء، ويخلو بنفسه للعبادة[13]، وكان حنفي المذهب بارعاً به [14]، وقد كسب ود الخليفة العباسي المسترشد

(1) المنتظم (234/9) نظام الوزارة ص 155.
(2) المنتظم (234/9) نظام الوزارة ص 155.
(3) المنتظم (245/9 - 246).
(4) المنتظم (246/9) نظام الوزارة ص 155.
(5) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 155.
(6) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 155.
(7) المنتظم (254/9 - 255) نظام الوزارة ص 155.
(8) الفخر بن ابن طباطبا ص 222، نظام الوزارة ص 156.
(9) نظام الوزارة ص 156.
(10) الفخر بن، ابن طباطبا ص 222، نظام الوزارة ص 156.
(11) المصدر نفسه ص 156 نقلاً عن الكامل في التاريخ.
(12) ذيل تاريخ دمشق ص 224.
(13) الوزارة العباسية ص 162.
(14) المصدر نفسه ص 162.

بالله، فتقرب منه، وبعد وفاة الوزير علي بن صدقة سنة522هـ، ناب علي بن طراد الوزارة من بعده ثم بعد مدة قصيرة ولاّه الخليفة المسترشد بالله الوزارة [1]، وعندما جلس الوزير في دست الوزارة قال لـه الخليفة المسترشد بالله: كل من ردت إليه الوزارة شرف بها إلا أنت فإن الوزارة شرفت بك [2]، وبعد مقتل الخليفة المسترشد السلجوقي بتولية الخلافة لأبي عبد الله بن المستظهر بالله، فبويع بالخلافة سنة 530هـ وتلقب بالمقتفي لأمر الله استوزر شرف الدين بن طراد الزينبي، فتمتع بسلطة واسعة في وزارته حتى أن الخليفة كان لا يستطيع أن يبت في أمر من أمور الخلافة إلا بمشورته، وبلغ من نفوذه أنه عندما عين الخليفة بعض الموظفين والعمال سنة 534هـ دون أخذ رأيه استاء الوزير من ذلك، وانقطع عن العمل حتى صالحه الخليفة[3]. ولما ازداد تدخل هذا الوزير في شؤون الخليفة لم يستطع الخليفة عزلـه بل لجأ إلى السلطان السلجوقي مسعود يشكو لـه من تصرفاته، فأصدر السلطان أمراً بعزل الوزير الزينبي من الوزارة [4]، وكان شرف الدين الزينبي فقيها بارعاً في مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى الناس [5]. هذا فضلاً عما كان يتصف به من حلم وكرم مع معرفة واسعة بقوانين الوزارة ومتطلباتها [6]، بقي شرف الدين الزينبي بعد عزلـه ملازماً داره حتى توفي 538هـ [7] وكان عمره ست وسبعين سنة [8]، وقد نسب لهذا الوزير العباسي تعاونه مع الأتراك في عزل الراشد وعد هذا العامل مع عوامل أخرى دفعت بالخليفة العباسي المقتفي لأمر الله إلى عزلـه وبهذه المناسبة قال الخليفة المقتفي لأمر الله: إذا فعلوا هذا مع غيري فهم يفعلونه معي[9].

**6- الوزير عون الدين بن هبيرة:** تدرج عون الدين يحيى بن هبيرة في المناصب الإدارية، حيث شغل أولاً منصب كاتب ديوان الزمام ببغداد عام 542هـ، وفي سنة 544نال وزارة الخليفة المقتفي لأمر الله [10]، ونتيجة لمكانته المرموقة لدى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله لقبه، عون الدين [11]، كما وزر للخليفة العباسي المستنجد بالله [12]. وقد اشتهر الوزير يحيى بن هبيرة باطلاعه الواسع على علوم الفقه والحديث عالماً بأمور النحو، بليغاً في كتاباته[13].

شجع العلم والمعرفة من خلال مساهمته ببناء المدرسة في باب البصرة عام 557هـ، وعندما

(1) المنتظم (9/10) الوزارة العباسية ص 162.
(2) الوزارة العباسية ص 163.
(3) المنتظم (85/10) نظام الوزارة ص 158.
(4) المصدر نفسه (85/10) المصدر نفسه ص 158.
(5) النجوم الزاهرة (274/5).
(6) نظام الوارة في الدولة العباسية ص 158.
(7) المصدر نفسه ص 158.
(8) البداية والنهاية (334/16).
(9) النجوم الزاهرة (260/5) الوزارة العباسية ص 164.
(10) الوزارة العباسية ص 166 تاريخ ابن الوردي (49/2).
(11) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 225.
(12) دولـة آل سلجوق ص 205.
(13) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 225.

توفي الوزير ابن هبيرة دفن جثمانه في هذه المدرسة، ولشدة تمسكه بمبادئ الدين الإسلامي، فقد رفض لبس الحرير وكان عادلاً، يخصص جزءاً من وقته للنظر في المظالم ونصرة المظلوم [1]. فضلاً عن ذلك فقد عرف عنه سداد الرأي وحسن التدبير [2]، وقد أورد المؤرخون عدة أسباب لتولي ابن هبيرة الوزارة، منها أن الخليفة أمر ابن هبيرة - وكان يتولى ديوان الزمام - أن يكتب للسلطان السلجوقي، فكتب ابن هبيرة رسالة طويلة للسلطان السلجوقي ذكر فيها ما عرف عن سلاطين السلاجقة من حسن الطاعة، والتأدب مع الخلفاء والحرص على الذب عنهم ممن يحاول النيل منهم، وأشار إلى شكوى الخليفة من الشحنة. فكان لرسالته أبلغ الأثر في نفس السلطان فكتب للخليفة يعتذر ويستنكر ما فعله الشُّحنة، كما أوقف الشُّحنة عند حده. فسر الخليفة من ابن هبيرة، وزاد تقديره لـه، فولاه وزارته[3].

ومن المرجح أن السبب في إسناد الوزارة إليه يرجع إلى مشورته على الخليفة المقتفي لأمر الله بألا يؤدي أي مبلغ من المال لمحمد شاه ابن السلطان محمود، مقابل رفع حصاره عن بغداد؛ لأن هذا سيكون حافزاً للسلاجقة للمطالبة بالمزيد، وأشار بصرف المبلغ المطلوب، وقدره ثلاثين ألف دينار في إعداد جيش للخلافة من الترك والأكراد وأهل بغداد وأعمال العراق لصد قوات محمد شاه، فقبل الخليفة رأي ابن هبيرة، وفوضه في إعداد هذا الجيش، فلم تمض أيام قليلة حتى اجتمع عسكر كثير فخرج به ابن هبيرة لقتال محمد شاه وأصحابه، فهزمهم، فلما أيقن الخليفة بحسن رأي ابن هبيرة استدعاه وولاه الوزارة سنة 544هـ [4] وظل ابن هبيرة وزيراً للمقتفي لأمر الله حتى توفي هذا الخليفة سنة 555هـ وخلفه المستنجد بالله، فأقر ابن هبيرة في الوزارة ويذكر ابن كثير أن الخليفة المستنجد بالله، وعد ابن هبيرة بأن يظل محتفظاً بمنصبه حتى وفاته [5]، وقد قام الوزير بدور كبير في تخليص الخلافة العباسية مع النفوذ السلجوقي واستعادة سلطة الخلفاء العباسيين في الدولة، وقد استطاع بمساعدة الجيش الذي أعده تخليص العراق وجميع أعماله من سيطرة السلاجقة [6].

ويصف المؤرخون ابن هبيرة بأنه كان عالماً فاضلاً، ذا رأي صائب، يقرب أهل العلم من الفقهاء والمحدثين والأدباء، ويبالغ في إكرامهم [7]، وكان ينفق عليهم وعلى الفقراء من يدخل عليه من مال، حتى قيل: إنه لم تجب عليه زكاة قط [8]. وقد لاحظنا أن حركة النهوض التي قام بها نور الدين محمود ونجاحه في حرب الصليبيين من أسبابه خروج مؤسسة الخلافة والوزارة من الركود والضعف إلى النشاط والحيوية والقوة، ودعمها المعنوي والمادي لنشاطات نور الدين الجهادية وكذلك صلاح الدين، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى: توفي الوزير ابن هبيرة سنة 560هـ، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً،

(1) النبراس فيتاريخ خلفاء بني العباس ص 157.
(2) الأنباء في تاريخ الخلفاء بني العباس ص 157.
(3) وفيات الأعيان (231/6 - 232) نظام الوزارة ص 160.
(4) أخبارالدول المنقطعة ص 162، دولة آل سلجوق ص 202، 203.
(5) البدايةوالنهاية نقلاً عن نظام الوزارة ص 161.
(6) نظام الوزارة ص 161.
(7) وفيات الأعيان (333/6).
(8) ذيل طبقة الحنابلة (256/1) المنتظم (215/10).

فحضر جنازته خلق كثير، وأغلق الأسواق، ودفن في المدرسة التي بناها بباب البصرة [1]، وأيد سنة وفاته ابن الجوزي حيث قال: عندما غسل الوزير ابن هبيرة رأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده تدل على أنه مسموم [2].

## ثانياً: من وزراء سلاطين دولة السلاجقة:

قد تحدثت فيما مضى من الصفحات عن الوزير عميد الملك الكندري ونظام الملك الطوسي كل في محله ولذلك لا داعي للإعادة هنا وإنما نتحدث عن بعض الوزراء الآخرين منهم:

**1- الوزير نصير الدين أبو المحاسن سعد الآبي:** سعد الملك سعد بن محمد الآبي كان يعمل في أول الأمر مع الوزير تاج الملك أبي الغنائم، ثم ولي ديوان الاستيفاء في وزارة مؤيد الملك بن نظام الملك، وولي الوزارة إثر ذلك للسلطان محمد بن ملكشاه [3]. يعد هذا الوزير من أكفأ وزراء سلاطين السلاجقة، ومن أكثرهم نزاهة وإخلاصاً، وفهماً للأعمال الإدارية [4]وقد لعب دوراً بارزاً في نزاع السلطان محمد مع أخيه السلطان بركيارق، ونجح في جمع العساكر حول السلطان محمد [5]، فحفظ له السلطان تلك الخدمة، وزاد في إقطاعه، وفوضه في تدبير دولته [6]، كذلك نجح الوزير سعد الملك في قيادة عدة حملات ضد الباطنية، وفتح بحسن تدبيره قلعتين من قلاعهم الحصينة، وهما: قلعة "شاهدز"[7]، وقلعة " خان لنجان " بالقرب من أصفهان [8]، وأثار النفوذ الكبير الذي تمتع به الوزير سعد الملك حقد كبار موظفي الدولة عليه، فعملوا على عزله من الوزارة، وكان حاكم أصفهان من قبل السلطان محمد ويدعى عبد الله الخطيبي على رأس أعداء هذا الوزير بسبب عزمه على عزله من منصبه لعدم كفايته، فخشي الخطيبي أن يحرم من عمله، فاتهم الوزير بالميل إلى مذهب الباطنية، وساعده في ذلك بعض خواص السلطان، فقبض السلطان على وزيره، وكان لدى الوزير سعد الملك ما يثبت اتصال الخطيبي بزعيم الباطنية، ومع ذلك لم ينج من القتل [9]. ويروى أن السبب في قتله يرجع إلى اتهام السلطان محمد له بتدبير مؤامرة ضده، باتفاق مع أخيه السلطان سنجر [10].

**2- الوزير كمال الملك السميرمي:** تمتع الوزير كمال الملك بنفوذ واسع في الدولة أثناء وزارته وذلك لكفايته وحزمه وحسن إدارته، ولعلمه، فله مؤلفات في الفارسية منها: رياض ناضرة المناظرين.

---

(1) البدية والنهاية نقلاً عن نظام الوزارة ص 161.
(2) المنتظم (217/10).
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 152.
(4) أخبار الدولة السلجوقية ص 83.
(5) دولة آل سلجوق ص 83، نظام الوزارة ص 152.
(6) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 152.
(7) شاهدز: قلعة حصينة على جبل أصفهان، كان يتحصن زعيم الباطنية بها.
(8) دولة آل سلجوق ص 83، 84 نظام الوزارة ص 152.
(9) دولة آل سلجوق 84، 85، نظام الوزارة ص 153.
(10) النجوم الزاهرة (194/5).

وضع فيها قوانين الوزارة وقواعدها [1]. عمل في أول الأمر ضمن موظفي كاتب كهرخاتون زوجة السلطان محمد بن ملكشاه ثم ناب عنه في كتابتها، واستطاع أن ينظم ديوانها من حيث المرتبات وعدد الوظائف، فارتاحت كهرخاتون لـه، وولته كتابتها، ثم توسطت لـه لدى السلطان فولاه ديوان " أشراف المملكة" فارتفعت منزلته بذلك [2]، ولما توفي ربيب الدولة بن أبي شجاع، وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه في سنة 512هـ، ولي كمال الملك الوزارة خلفاً لـه [3] وكانت الحرب في تلك الأثناء قائمة بين السلطان محمود وعمه سنجر بن ملكشاه، فعمل كمال الملك على إزالة الخلاف بينهما وقال للسلطان محمود: هذا عمك وهو في مقام والدك والكبير في البيت والرأي موافقته [4]. وتعهد بالإصلاح بينهما فوافق السلطان محمود، وسار كمال الملك إلى السلطان سنجر، وأقنعه بقبول الصلح وإنهاء الحرب، فاستجاب لـه السلطان سنجر، وبالتالي اجتمع السلطان سنجر بابن أخيه محمود، وتم الصلح بينهما ثم عاد السلطان سنجر بجيشه إلى خراسان [5]. وقد قتل الوزير كمال الملك السميرمي في سنة 515هـ، وكان آنذاك مع السلطان محمود ببغداد، حيث وثب عليه جماعة من الباطنية وقتلوه [6].

ويروى أن هذا الوزير قتل بيد أحد غلمان الوزير السلجوقي مؤيد الدين الطغرائي [7] وكان كمال الملك قد اتهم هذا الوزير بالإلحاد، فقتل نتيجة لذلك، مما أثار حقد غلمانه على كمال الملك، فعزموا على قتله انتقاماً لسيدهم، وتم لهم ذلك سنة 515هـ [8].

**3- الوزير كمال الدين محمد بن الحسين الخازن:** كان من أفضل من ولي الوزارة لسلاطين السلاجقة سيرة وتدبيراً ولي الوزارة في سنة 533هـ، للسلطان مسعود، فأخذ يعمل على إصلاح أوضاع الدولة، وإقرار العدل، وإزالة الظلم [9]، ونجح في ذلك يقول البنداري عنه: وأحيا معالم للملك قد دثرت، ونظم عقوداً للمصالح انتثرت، وابتدأ بكسر الجبارين، وجبر المنكسرين [10] كان مما ساعد هذا الوزير على القيام بكثير من الإصلاحات أثناء وزارته شجاعته وجرأته في تنفيذ الأحكام، فضلاً عن عدلـه[11].

ويذكر ابن الجوزي أن الوزير كمال الدين الخازن لما ألغى الضرائب والمكوس التي كانت تثقل كاهل الرعية، دخل عليه رجلان يعرضان عليه أن يدفعا لـه مائة ألف دينار مقابل أن يفوضهما في استخلاص الضرائب والمكوس الملغاة، فرفع أمرهما إلى السلطان، وشهر بهما في البلد مسودي الوجوه، ثم أودعهما السجن [12]، ونجح الوزير كمال الدين في ضبط وإصلاح الحالة المالية للدولة

(1) الوزارة العباسية ص 82، دولـة آل سلجوق ص 124.
(2) دولـة آل سلجوق ص 84 - 85.
(3) المصدر نفسه ص 115.
(4) أخبار الدولة السلجوقية ص 88 نظام الوزارة ص 153.
(5) أخبارالدولة السلجوقية ص 88 - 89.
(6) المنتظم (240/9) دولـة آل سلجوق ص 123.
(7) نظام الوزارة ص 154.
(8) وفيات الأعيان (189/2).
(9) المنتظم (78/10) دولـة آل سلجوق ص 170.
(10) نظام الوزارة ص 159.
(11) المصدر نفسه ص 159 نقلاً عن الكامل في التاريخ.
(12) المنتظم (79/11).

السلجوقية، فانتظم دخل الدولة، وصارت الأموال تحمل إلى خزينة السلطان بانتظام من أماكن معينة[1]. واستطاع بذكائه كشف المساوئ المالية التي كانت تتم دون علم السلطان [2]ومنع الأمراء من التدخل في إدارة الدولة، وقرر للجيش ما يحتاج إليه من نفقات [3]، أثار إخلاص هذا الوزير حفيظة الأمراء وكبار الموظفين الذين حد من نفوذهم، فأخذوا يتآمرون للتخلص منه قبل أن يستفحل نفوذه فاتصلوا بالأتابك قراسنقر حاكم أذربيجان، وأقنعوه بأن الوزير أثار السلطان مسعود عليه، فأنفذ قراسنقرالى السلطان مسعود يطلب منه التخلص من وزيره، ويهدده بالخروج عن طاعته إذا لم يتم ذلك، فأشار الموظفون الحاقدون على الوزير على السلطان بقتله تلافياً للفتنة، فاستمع لمشورتهم[4].

* * *

# الفصل الثالث
# النظم الحربية عند السلاجقة

## المبحث الأول
## أسس الإدارة العسكرية السلجوقية

يعتبر الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك الرأس المدبر لتطوير وتدعيم البنية الإدارية في مختلف المجالات، فقد ضمَّن كتابه سياست نامة الكثير من هذه النظم التي قام عليها بناء الإدارة العسكرية عند السلاجقة [5]، وقد أثر فكره الإداري على قادة عصره ومن جاء بعده حتى نهاية القرن الخامس الهجري، حتى عدّه ريجاردكوك أعظم إداري أنجبته آسيا كلها[6]، وقد تأثرت الدولة الزنكية والأيوبية ودولة المماليك - فيما بعد بالنظم الحربية عند السلاجقة، والأسس الإدارية، والمدارس النظامية التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، وهذا يعطى مفاهيم أعمق في النهوض الحضاري للأمة، بأن التأثير في الأجيال يحتاج إلى عقود من الزمن، حتى تجني الأمة ثمار يانعة للجهود التي يبذلها قادتها العسكريون والسياسيون والإداريون والمفكرون والعلماء، وقد أراد الساسة السلاجقة أن تسير الإدارة العسكرية السلجوقية، على أسس واضحة فقد تطلع نظام الملك إلى تثبيت تقسيمات الوظائف الإدارية مدنية كانت أو عسكرية وحذَّر من تعدد وتداخل الألقاب بين المدنيين والعسكريين؛ ولذلك تعد وفاته حدًا فاصلاً لسيطرة المدنيين على المناصب الإدارية في الدولة، وبداية لتأثير العسكريين في هذه المناصب إضافة إلى مناصبهم العسكرية، فأصبح نفوذهم كبيراً في جميع أنحاء الدولة

(1) دولة آل سلجوق ص 170 الوزارة ص 159.

(2) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 159.

(3) راحة الصدور ص 333، نظام الوزارة ص 159.

(4) السابق ذاته.

(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 45 للدكتور نائف بن حمود أبو قريحة وهذا الكتاب مرجعي الرئيسي في هذا الفصل فجل ما فيه مختصر منه، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه، اختصر لنا بها الباحث جهوداً ضخمة، فأشرت إلى ذلك للأمانة العلمية، وفضل الله واسع لي ولـه ولمن شارك في هذا الجهد.

(6) بغداد مدينة السلام (157/1).